

الفصل الرابع

الهجرة الى يثرب

أمر الرسول (ص) أصحابه ، من أهل مكة ، أن يلحقوا بيثرب ، وسيجدون عند مسلميها ، من الأوس والخزرج ، المنعة والحماية ، وكان للرسول (ص) قد أراد بذلك أن يؤسس للإسلام قاعدة قوية ، وحصناً منيعاً ، يتجمع المسلمون فيه ، ليبدأ منه للتنظيم ، ثم الانطلاق . ولم تكن للغاية من الهجرة للفرار من اضطهاد قريش فقط ، ولو كان الأمر كذلك ، لما هاجر المسلمون الأقوياء ، الذين ما كانوا يخشون شر قريش ، ولا أذاها ، كعمر بن الخطاب ، وحزرة ، عم الرسول (ص) . وإنما كان من وراء الهجرة أهداف أخرى ، منها : أن تؤسس للإسلام دولة ، وعاصمة ، تنطلق منها قوة الإسلام ، منظمة ، محطة معاقل للشرك ومراكز للوثنية .

ثارت قريش ، عندما علمت بهجرة المسلمين ، وقدرت المصير الذي ينتظرها ، عندما يلتئم في يثرب جمع المسلمين ، ويتحد مسلمو مكة مع أهل يثرب ، فلا تستطيع لهم دفعاً ، فوقف المشركون بدون كل من استطاعوا رده من المسلمين المهاجرين ، وازدادت قريش

إمعاناً في تعذيب هذا النفر من المسلمين المستضعفين . أما الهجرة
فاستمرت، وفق تعليمات محمد (ص) ، فرادى، أو جماعات قليلة العدد،
وكانت تتم بشكل سري . ولم يهاجر جهاراً إلا عمر بن الخطاب، وكان
يتحدى مشركي قريش، ويقول « من أراد أن يشكك أمه، أو يتيم ولده،
أو يرمل زوجته، فليلقني وراء هذا الوادي » .

أدركت قريش خطر هجرة المسلمين إلى يثرب، وهي تعلم المنافسة
بين مكة ويثرب، والخلاف بين أهل مكة، للعدنانيين، وأهل يثرب،
للحِمْيَرِيِّين . وقد عرفت قريش، من قبل، خطر هجرة المسلمين إلى
الحبيشة، وأخفقت في منعها، ورد المهاجرين، إلى مكة . أما الآن، فالتحطّر
أشد، وسيل الهجرة أعظم، وقوة المسلمين في نمو وازدياد، وقد
انضمت إليهم معظم بيوت يثرب، بأوسها وخزرجها، وخافت من
المصير الذي ينتظرها، وبنظرة قوافلها إلى الشام، إن استقر المقام
بالمسلمين في يثرب، وتزعّمهم هناك محمد بن عبد الله (ص) .

ومن الطبيعي، عندئذ، أن يحاربهم محمد (ص)، بأهل يثرب، ومن التحق
بهم من مسلمي القبائل الأخرى . وتداول رجال قريش الأمر، في دار
للندوة، واختلفت الآراء، فمن قائل: «نقبض على محمد، ونحبسه» . ومن
قائل: «ننفيه من مكة» . وانتهى بهم للنقاش إلى أنه لا يحسم الأمر إلا قتله.
واتفق على أن يؤخذ من كل قبيلة فتى جلد، ويضربه هؤلأ للفتيان
ضربة رجل واحد، فيضيق دمه بين القبائل، ولن يستطيع بنو عبد
مناف أن يحاربوا للعرب جميعاً . ونزل للوحي على الرسول (ص)

بقوله تعالى : « وإذ يمكر بك للذين كفروا ، ليشبتوك ، أو يقتلوك ، أو
يخرجوك ، ويمكرون ، ويمكر الله ، والله خير الماكرين . »

كان محمد (ص) يمنع أبا بكر من الهجرة ، وكلها استأذنه ، كان
يقول له : « لا تعجل ، لعل الله يجعل لك صاحبا » . وعندما نزلت الآية
للسابقة ، وقبين للرسول تأمر المشركين على قتله ، عزم على الهجرة ، بعد
أن أذن له الله به ، وأحاط الأمر بالكتمان ، وأخبر بذلك صديقه ، أبا بكر ،
وطلب إليه أن يصحبه ، في هجرته إلى يثرب ، وكان أبو بكر قد أعد
راحلتين ، عهد بهما إلى رجل يرعاهما ، إلى أن يأذن للرسول بالهجرة .
وأمر النبي (ص) ابن عمه ، علي بن أبي طالب ، أن ينام مكانه تلك الليلة ،
وأن يتخلف عنه في مكة ، ليرد بعض اللودائع إلى أصحابها . وفي الثلث
الأخير من تلك الليلة ، التي عرفت أروع مغامرة في تاريخ الإسلام ،
خرج محمد (ص) في غفلة من أولئك للذين كانوا يراقبون داره ، لتنفيذ
الجريمة ، التي حبيكت خيوطها ، في دار الندوة ، وقد هيا كل منهم
صارماً بتاراً ، لقتل صاحب الدعوة ، محمد (ص) . وانصرف الرسول
(ص) إلى دار أبي بكر ، ومن باب صغير خلفي ، خرجا في اتجاه اليمن ، لا
اتجاه يثرب ، مما لا يخطر على بال مشركي قريش ، عند اللحاق بهما . ونزل
المهاجران ، محمد وأبو بكر ، في غار ثور ، في جبل إلى الجنوب من مكة ،
ولم يعلم بمكانهما إلا عبد الله بن أبي بكر ، الذي كان يتسقط لهما الأخبار

نهاراً ، ويحملها إليهما ليلاً ، وكذلك عامر بن فهيرة ، مولى أبي بكر ،
للذي كان يرعى للغنم نهاراً ، ويريحها ، تقرب للغار ، مساءً ، وكانت أسماء
بنت أبي بكر تحمل للطعام إليهما في الليل . ومما ذكر عن عامر بن فهيرة
أنه كان ينتظر مع أعنانه ، حتى ينصرف من الغار عبد الله بن أبي بكر ، ثم
يلحق به ، لتطمس الأعنانه آثار أقدامه على الرمال ، فلا يستدل على
للغار أحد ، وبقي صاحبا للغار فيه ثلاثة أيام .

أما قريش المشركه فقد جن جنونها ، عندما علمت أن محمداً قد
أفلت من يدها ، وازداد فتياً ، للذين أعدتهم لقتله ، غضباً ، حين علموا
أن اللثائم في فراش محمد (ص) هو ابن عمه ، علي ابن أبي طالب ، وأسرع
هؤلاء يبحثون عن محمد في كل مكان ، خاصة بعد أن جعلت قريش
مائة ناقة مكافأة لمن يدهم على محمد ، أو يأبى به .

وذكرت كتب السير أن للباحثين عن محمد (ص) وصلوا إلى
قرب للغار ، حتى حاول بعضهم للتسلق إليه ، لولا ما رأوه من مظاهر
للقدم على مدخله ، من وجود العنكبوت وللغار ، مما لا يسمح بالاعتقاد
بوجود محمد فيه ، وكان الموت قاب قوسين أو أدنى من صاحبي للغار ،
حيث كان محمد يتوجه إلى ربه بالدعاء ، وصاحبه ، أبو بكر ، يقترب
من محمد ، ويلتصق به ، خوفاً مما عساه يصيبهما ، فيهمس للرسول
(ص) في أذن صاحبه : « لا تحزن إن الله معنا . » ويسمع أبو بكر وقع
أقدام للباحثين عنهما ، ويقول للرسول (ص) : « لو نظر أحدهم تحت
قدميه ، لأبصرنا » . ويجيبه الإيمان ، ممثلاً في محمد . ساعته :

« يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين ، الله ثالثهما ؟ » .

وفي ذلك نزلت آيات الله تقول : « إلا تنصروه ، فقد نصره الله ، إذ أخرجه للذين كفروا ثاني اثنين ، إذ هما في الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن ، إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة للذين كفروا اللسـفلى ، وكلمة الله هي العليا ، والله عزيز حكيم . »

زال الخطر عن صاحبي للغار ، بعد مرور أيام ثلاثة ، يثبت خلالها قريش من للوصول إلى خبر عنهما ، أو أثر من آثارهما ، وهدأت عاصفة الغضب ، وموجة للبحث عنهما ، فجاءها للدليل ، الذي كان قد استأجره أبو بكر ، وهو عبد الله بن أريقط ، ببعيرين لهما ، وآخر له ، وحملت أسماء بنت أبي بكر لهما للطعام ، فلم تجد ما تعلق به للطعام في رحليهما ، فشقت نطاقها ، فعلقت للطعام بنصفه ، وأعدت نصفه عليها ، وقيل إن الرسول (ص) دعا لها أن يبدلها الله بنطاقها نطاقين في الجنة ، فغلب عليها ذلك اللقب ، وسميت « ذات النطاقين » .

وزيادة من محمد وصاحبه ودليلهما في الحذر والحيلة ، اتخذوا طريقاً إلى يثرب ، غير للطريق المألوف ، حيث اتجه للدليل بهما إلى الجنوب من مكة ، في اتجاه البحر ، ثم كان السير في اتجاه الشمال ، بمحاذاة للساحل مع للبعد عنه ، وسبعة أيام مضت ، والرسول وصاحبه ، للصديق ، ودليلهما ، يقطعون تلك المنطقة للقفـر ، فيسيرون الليل بطوله ، ويستريحون

بعض ساعات النهار ، إلى أن بلغ للركب منازل قبيلة بني سهم ، قرب
يثرب ، واستقبله شيخ للقبيلة مرحباً بمقدمه .

و كانت يثرب ، قبيل وصول محمد (ص) إليها ، تعج بالمسلمين ،
من الأنصار والمهاجرين ، وانتشر الإسلام بين اليثريين ، انتشاراً
واسعاً ، وكانت الدهوة تجد بسهولة طريقها إلى قلوب تعمر بالإيمان
للصحيح ، وكانت قلوب المسلمين - من أصحاب رسول الله (ص) ، ومن
لم يروه بعد ، وقد أسلموا على أيدي صحابته - تتحرق شوقاً لوصول النبي
صالمأ إليهم ، وقد بلغهم خبر خروجه من مكة ، وجهود مشركي قريش
في البحث عنه ، وكانوا يتربصون الأخبار عنه ، ويخرجون ، بعد صلاة
للصبح ، كل يوم ، إلى ظاهر المدينة ، يتلمسون طلعتة ، حتى تغلبهم
للشمس ، فيعودو إلى أعمالهم .

وصل محمد (ص) مع صاحبه ودليلهما ، إلى قباء ، وهي على بعد
فرسخين (١٦ كم) من المدينة ، وأقاموا بها أربعة أيام ، ووصل ،
خلال ذلك ، علي بن أبي طالب . وأسس للرسول ، في قباء ، أول مسجد
في الإسلام ، ثم اتجه مع أصحابه إلى يثرب .

و كان يوم وصول النبي (ص) يوماً مشهوداً ، خرج فيه الجميع :
من آمن ومن لم يؤمن ، وكان ذلك لليوم يوم الجمعة ١٦ ربيع

الأول، في العام الثالث عشر للبعثة. وكان سادة القوم يعرضون عليه أن يقيم عندهم، وكان يعتذر، ويقول: «خلوا زمامها، فإنها مأمورة». وقد دعاه آل للنجار، لينزل عندهم، وقالوا: «هلم إلى أخوالك، إلى للعدد والعدة والمنعة» فأجاب «خلوا سبيلها، فإنها مأمورة». ولعل للرسول (ص) أراد ألا يفضل أسرة على أخرى، فتقع المشاكل، فترك للناقة خطامها، حتى بركت عند مربرد (موضع يجفف فيه للتمر)، كان ليتيمين، هما: سهل وسهيل، ابني عمرو، واشتري المسلمون تلك الأرض منها، وبنوا فيها مسجد المدينة، ومسكن للرسول (ص). وأقام محمد، مؤقتاً، عند أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري. وقد اشترك محمد، وصحبه، من المهاجرين والأنصار، في بناء المسجد والمسكن. وكانت المباني غاية في البساطة، وقد خصص قسم مسقوف في المسجد لإيواء للفقراء من المهاجرين، للذين لا يملكون سكناً.

تعتبر هجرة الرسول (ص) إلى المدينة حدثاً من أهم أحداث للتاريخ الإسلامي، ولهذا اعتبرها عمر بن الخطاب، في أثناء خلافته، مبدأ للتاريخ عند المسلمين، ولم يعتبر ميلاد الرسول، ولا حادثة للبعثة، على أهميتها، بداية للتاريخ، وذلك لأن الهجرة أعطت الإسلام وجهاً جديداً، وبدأ بها دور جديد، طوى للدور المكي، للذي كان الإسلام فيه دعوة دينية بحتة، تقوم على عبادة الله وحده، لا شريك له. أما للدور المدني، فقد كان فيه للتشريع والتنظيم، فأصبح الإسلام ديناً ودولة، عبادة وتشريعاً. وفتحت حادثة الهجرة باباً جديداً للإسلام، كان منه الانطلاق لتأسيس دولة

الإسلام للكبرى ، بعد أن تم وضع نواتها في المدينة . ويتضح لنا من هذا خطأ للفكرة ، التي تفصل للدين عن للدولة - في للدولة الإسلامية - فالدولة ، بتشريعاتها وتنظيماتها وتعاليم رعيها لدى المسلمين ، هي جزء من الإسلام ، لا تنفصل عنه ، منذ نشأتها . وهي قائمة على هذا للدين ، لا باعتباره ديناً ، بمعنى للعبادة فقط ، وإنما تقوم على الإسلام ، كنظم وتشريعات وأخلاق . لقد انتهى بالهجرة للدور للسبي للدعوة ، وهو للدور للذي لم يكن للمسلمين فيه حول ولا قوة ، وكان الإسلام يكتبي بالدعوة ، ويعاني أتباعه كل أنواع الاضطهاد والعذاب . وبدأ للدور الإيجابي ، وهو للدور المدني ، للدور للذي أصبح فيه المسلمون قوة ، يردون على الاعتداء بمثله ، للدور ، للذي قام فيه للرسول (ص) بتنظيم الحياة للسياسية والاجتماعية في يثرب . وأصبح المجتمع ، في المدينة ، يتألف من : المهاجرين ، وهم للذين وفدوا إلى يثرب ، تاركين الأهل والمال في مكة ، فراراً بدينهم ، وتنفيذاً للأمر بدينهم . والأنصار ، وهم المسلمون من أهل يثرب ، للذين نصرُوا الإسلام ، ورسوله ، على قريش المشركة . والمنافقين ، وهم للذين تظاهروا باعتناق الإسلام ، وبقيت للوثنية تملأ قلوبهم . واليهود ، وأشهر قبائلهم : بنو قينقاع ، والنضير ، وقريظة . مع من تهود من العرب ، وهم قله .

وكان الرسول (ص) يستهدف ، منذ أن حل في المدينة ، إيجاد

وحدة بين سكانها ، تجعل منهم حصناً منيباً ضد أعداء الإسلام . وبدأ بتوحيد صفوف المسلمين ، ونزع جميع الأحقاد من القلوب ، فدعاهم جميعاً إلى للتآخي والمؤاخاة ، وكان كل مسلم يواخي مسلماً : فكان هو و علي أخوين ، وكان عمه ، حمزه ، وزيد بن حارثة أخوين . وتآخي المهاجرون مع الأنصار ، إخوان جعل له الرسول (ص) حكم إخوان للدم وللنسيب . ومن الأنصار من قدم نصف ماله لأخيه المهاجر ، وكثير من المهاجرين أبوا أن يأخذوا من مال أحد ، وفضلوا العمل ، وبدأ نشاطهم للتجاري ، ولهم بذلك خبرة ودراية . ومنهم من اشتغل في زراعة أراضي الأنصار ، مزارعة مع أصحاب الأرض . وهناك فئة من المهاجرين المسلمين كانوا على درجة شديدة من العوز ، وقد أسكنهم للرسول (ص) صفة المسجد ، « وهي المكان المسقوف منه » فسماوا بأهل للصفة ، وجعل لهم رزقا من أموال المسلمين والمهاجرين والأنصار ، ومن آتاهم الله رزقاً طيباً .

وكان عمل للرسول في توحيد صف المسلمين أول خطوة في تنظيم مجتمع يثرب ، وبناء كيان الأمة ، وسد للطريق على المنافقين في محاولاتهم الإيقاع بين الأوس والخزرج ، وبين الأنصار والمهاجرين . ووجد المنافقون أمامهم مجتمعاً إسلامياً ، لا فرق فيه بين مسلم وآخر ، كالجسم للواحد ، يساند فيه للقوى للضعيف ، وللغني للفقير ، تسود جميع أفراد عواطف الحب المتبادل ، وللتعاون الصادق ، والوفاء والإخلاص ، وللتضحية والإيثار . وكانت الخطوة للثانية من الرسول (ص) تنظيم للعلاقات بين المسلمين وبقية أهل يثرب ، وخاصة اليهود .

وكان موقفه في ذلك موقف لرجل للسياسي البارع ، فما أظهر لليهود ، منذ نزل يثرب إلا المودة والاحترام ، على أنهم أهل كتاب . وبظهر أن لليهود كانوا بطمعون في استدراجه إليهم ، خاصة وأن قبلته كانت إلى بيت المقدس . وتطور الأمر بين للطرفين إلى عقد معاهدة ، تعتبر من أهم الوثائق للسياسية ، في صدر الإسلام .

وهذه الوثيقة توضح علاقات المسلمين ، فيما بينهم أولاً ، ثم علاقتهم باليهود ، الذين منحهم للوثيقة حرية للعقيدة ، وأقرتهم على دينهم وأموالهم ، مع شروط فرضت على للطرفين . وأكدت تحريم الجريمة ، وحرمة المال ، والحياة ، وأرض للوطن للصغير ، الذي كان يشمل المدينة حينذاك ، واعتبرت المسلمين أمة ، وحدتها للعقيدة ، فسمت بذلك على المستوى القبلي أو للعنصري ، فقد أُلغى للدين . كما ثبتت هذه الوثيقة - بين المسلمين ، على اختلاف قبائلهم وعصبياتهم ، وجعل منهم وحدة . وقد أقامت هذه الوثيقة بين أفراد الجماعة الإسلامية نوعاً من التعاون والتآخي ، فيسهمون في فداء الأسير ، ودفع للدية ، ومساعدة المحتاجين والمدينين ، وللضرب على أيدي المفسدين ، ويتعاونون مع لليهود في رد كل اعتداء على المدينة . وكفلت لليهود من الحقوق ما للمسلمين ، وعزلت بها قريش ، فلا تجار ولا تنصر . وكانت هذه المعاهدة فتحاً جديداً في الحياة للسياسية ، التي يمارسها

لرسول (ص)، في أول عهده بالمدينة، و كان أهم ما حققته، في المجتمع الجديد، حرية للعقيدة، تلك الحرية التي فقدت في مكة، التي اضطررنا فيها المسلمون من أجل عقيدتهم، بل هي الحرية التي كانت يومئذ قد فقدت في كثير من أنحاء للعالم، وغلب عليها للظلم والطغيان والاضطهاد. وإذا كان يهود بني قريظة والنضير وقنينقاع لم يوقعوا هذه للصحيفة، فإنهم لم يلبثوا ان اتفقوا مع للرسول (ص) على أمور تشبه ما ورد فيها.

وهكذا أصبح للرسول (ص) في المدينة، رئيساً للدولة، فضلاً عن مهمته، كنبى، مرسل لهداية البشر. أما للدولة، التي يرأسها، فهي دولة إسلامية، تطبق تعاليم للقرآن الكريم: فالسياسة والحكم وللتشريع، في هذه الدولة، جزء من رسالة الإسلام. وتعطينا الآيات المدنية هذا للوجه الجديد في تطور الإسلام ومجتمعها، بين مكة والمدينة: فبعد أن كانت تلك الآيات، في مكة، دينية تعبدية فقط، تؤكده التوحيد، وتحرم للشرك، وفيها وعد بالجنة ونعيمها، للمتقين المؤمنين، ووعد بالنار وسعيرها، للمشركين والكافرين، إذ بالآيات المدنية، إلى جانب إكمالها للنواحي الدينية في العبادات، تأتي بالمبادئ العامة، والأسس الكبرى في التشريع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي. ومن هنا اعتبر المسلمون للقرآن الكريم بمثابة دستور لهم، وهو المصدر الأول من مصادر التشريع عندهم.

توطد، في هذه الفترة، مركز الإسلام بيثرب وفرضت للزكاة، كما فرض صيام رمضان، وأصبح المسجد، الذي بناه محمد (ص)

والمسلمون ، مركز نشاطهم للدينى والاجتماعى ، وبدأ الأذان ،
للذى اعتبر كنداء للمسلمين إلى الصلاة ، يؤديها معظمهم
مجتمعين في المسجد ، وكان يقف بلال ، فينادي للصلاة جامعة ، ثم
حل محل هذه الجملة الأذان المعروف . وكانت صلاة الجماعة ،
بالنسبة للمسلمين ، تقوي روابط الألفة والمحبة بينهم ،
ويتداولون فيها بعض شؤونهم ، ويستقصون أخبار بعضهم :
فيعودون المريض ، ويسألون عن المسافر ، ومن هنا كان فضل صلاة
الجماعة . وكان الرسول (ص) يجلس إلى المسلمين في المسجد ، يعلمهم
أمور دينهم ، ويقضى بينهم ، ويتداول معهم أمر الدعوة ، كما يستقبل
وفود القبائل إليه . . .

وفي هذه للفترة تم زواج الرسول (ص) من عائشة بنت أبي بكر ،
وكان قد خطبها ، قبل الهجرة ، وكان يحبها ، ويعطف عليها ، وقد
تمتعت بمنزلة لم تتمتع بها زوجة أخرى لرسول الله (ص) ، إلا خديجة .
وكثيراً ما كان يظهر لها هذا الحب ، ويداعبها في ذلك : فقد
روى أنه قال لها : « يا عائشة ، حبك في قلبي كالعروة الوثقى ،
فكانت للسيدة عائشة تسأله من وقت لآخر : « كيف حال للعروة ،
يا رسول الله » فيقول لها : « إنها على حالها ، لم تتغير ، ولم تتبدل » . وربما
يستغرب للبعض من زواج الرسول (ص) بعدة زوجات ، وهو على
ما عرفنا من حبه لعائشة ، وتقديره لها ، كما فعل بعض المستشرقين ،
ودسوا كلاماً يدل على جهلهم بالإسلام وأعراضه ، ناسين ، أو متناسين ،

الأعراض الدينية والسياسية ، التي تزوج الرسول من أجلها بعض
زوجاته ، خاصة وأنه قد جاوز الخمسين من عمره ، وفي مثل هذه السن
تتوارى ، أو تضعف ، الغريزة الجنسية . يضاف إلى ذلك أنه كان يحب
زوجه ، عائشة ، وبنى لها مركز الصدارة في الصبا والجمال بين زوجاته ،
فلم يتزوج إحدى زوجاته لهذا السبب أو ذاك ، وإنما كانت أعراضه من
ذلك أنبل وأسمى . فقد توخى من بعض مصاهراته تجميع القلوب ،
وكسب ولاء بعض البيوت والعشائر ، ودخول أفرادها في الإسلام .
كزواجه من جويرة بنت الحارث ، سيد بني المصطلق ، وصفيّة بنت
حى ، سيد بني النضير . وتزوج للبعض عطفاً ورحمة وإعزازاً : كزواجه
من أم سلمة ، التي مات زوجها في سبيل الإسلام . وتزوج زينب بنت
جحش لغرض تشريعي : إذ كان للعرب ، في الجاهلية ، يحرمون الزواج
بزوجة النبي ، لا اعتقادهم أنها تعتبر كزوجة الابن من الهاب ، وكانت
زينب هذه بنت عمه للرسول (ص) ، وقد زوجها لزيد بن حارثة ،
وأظهرت له كثيراً من اللشمم والألفة ، وشكا ذلك إلى الرسول (ص)
مرات عديدة ، إلى أن نزل الوحي بضرورة طلاقها من زيد ، وزواج
محمد بها ، لهدم تلك القاعدة الجاهلية ، فقال الله تعالى : « فلما قضى زيد
منها وطراً ، زوجناكمها ، لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج
أديانهم ، إذا قضوا منهن وطراً ، و كان أمر الله مفعولاً » ، هذا بالإضافة
إلى تطبيق مثل الأسلام للعليا في المساواة بين المسلمين ، بزواج الرسول
للـكريم من مطلقـة مولى من الموالى . ويمكننا أن نضيف

إلى كل ما سبق ذكره أن للرسول (ص) أراد تحميل زوجاته رسالة الإسلام ، وتبليغها ، خاصة إلى للنساء ، وتوضيح ما هن من أمور تتعلق بهن دون غيرهن .

خشى اليهود ، في يثرب وما حولها ، على مكائبتهم ، بعد مارأوه من إقبال للعرب على الإسلام ، ووحدة للكلمة ، بين الأوس والخزرج فأزعجهم ذلك ، وبعد أن كانوا بالأمس يبشرون عرب يثرب ببعثة نبي يتبعونه ، إذ بهم الآن يكيدون لما كانوا يؤمنون به ، مما أنزل في كتبهم السماوية ، أنانية من عند أنفسهم ، وكأنه أزعجهم أن يكون للنبي المرسل من بني إسماعيل ، وليس منهم . وأخذوا يفكرون في موقفهم من محمد وودينه ، وأصحابه . لم يخف لليهود على أرواحهم وأموالهم ، بعد للعهد بينهم وبين محمد (ص) ، لكنهم خافوا أن ينتشر الإسلام بينهم ، وأن يقل شأنهم ، وأن يتبع بعضهم نبيا ليس من بني إسرائيل ، وخاصة بعد أن رأوا عبد الله بن سلام ، وهو من كبار أحبارهم وعلمائهم يعتنق الإسلام ، بعد اتصاله بمحمد (ص) ، ويدعو أهل بيته إلى ذلك فيسلموا معه . وبعد أن كانوا يقولون عنه إنه سيدنا ، وابن سيدنا ، وحبرنا ، وعالمنا ، إذ بهم ينقلبون ، ويلفقون حواره الأقاويل ، لا لشيء إلا لأنه اعتنق الإسلام . ووجد لليهود ، في بقايا مشركي يثرب ومنافقيها ، سندا لهم ، ومساعداء ، في كيدهم ومؤامراتهم ، ضد المسلمين .

وكان لليهود بطمعون في اجتذاب للرسول (ص) إلى صفوفهم في بداية الأمر ، لكنهم لم يلبثوا أن رأوا محمدا (ص) يزداد بأصحابه قوة وينتشر دينه بين للعرب ، فخابت آمالهم ، لاسيما عندما راوه يحول

قبلة المسلمين من جهة المسجد الأقصى ، الى جهة الكعبة ، بعد ستة عشر شهر آمن هجرته الى يثرب ، وذلك بعد نزول الآية : « قد نرى تقلب وجهك في السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم ، فولوا وجوهكم شطره » . وتضابق لليهود من تحويل القبلة وحاول بعضهم إقناع للنبي (ص) بأنهم يتبعونه ، إن هو رجع إلى القبلة الأولى ، فما وجدوا منه إلا ثباتاً .

وقد لجأ لليهود إلى كل سلاح من الأسلحة ، التي عرفوا بها : من اللدس ، وللدعايات ، وللتأمر ، وإثارة الجدل ، حتى أنهم دفعوا بمن أظهر الإسلام من رجالهم وأخبارهم ، ليفتنوا المسلمين عن دينهم ، بإلقاء الأسئلة ، التي يتوخون منها بذر بذور للشك في قلوب المسلمين ، حتى أنهم ، على الرغم من إيمانهم بوجود الله ، صاروا يتساءلون « من خلق الله ؟ » وحاولوا إثارة للفتن بين المسلمين ، وكانوا يتآمرون مع المنافقين على تحقيق غاياتهم ، حتى أمر محمد (ص) بإخراجهم من المسجد وقد اجتمعوا فيه ، يتهامون ويتآمرون .

وقد وصف القرآن الكريم وضعهم هذا بقوله : « ولقد آتينا موسى الكتاب ، وقفينا من بعده بالرسل ، وآتينا عيسى بن مريم للبينات وأيدناه بروح القدس ، أفكلما جاءكم رسول بما لا نهوى أنفسكم ، استكبرتم ، ففريقاً كذبتم ، وفريقاً تقتلون . وقالوا قلوبنا غلف ، بل لعنهم الله بكفرهم ، فقليلاً ما يؤمنون . ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم . وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما

جاءهم ما عرفوا ، كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين « بل وصل
الأمر ببعضهم إلى الاستخفاف بعقائد المسلمين : فهذا أحد اليهود
يتعرض في حديثه مع أبي بكر الإسلام ، ويشير غضبه بقوله :
« والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر ، وإنه إلينا لفقير ، وما
نتضرع إليه ، كما يتضرع إلينا ، وإننا عنه أغنياء ، وما هو عنا بغنى . ولو
كان غنياً عنا ، ما استقرضنا أموالنا ، كما يزعم صاحبكم . » وهو يشير
إلى قوله تعالى « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ، فيضاعفه له
أضعافاً كثيرة » . فيضربه أبو بكر ، ويقول له : « والذي نفسي بيده ،
لولا للعهد الذي بيننا وبينكم ، لضربت رأسك ، يا عدو الله » .

بل حاول بعض اليهود فتنه للرسول (ص) ، ومار إليه بعض
أخبارهم وأسيادهم ، وقالوا له : « إنك قد عرفت أمرنا ومنزلتنا ، وإننا
إن أتبعناك ، أتبعك لليهود ، لم يخالفونا . إن بيننا وبين بعض قومنا
خصومة ، فنحتكم إليك ، فتقضى لنا ، فنتبعك ، ونؤمن بك » . فنزل على
محمد (ص) قول الله : « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع
أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ، فإن
نولوا ، فاعلم أنها يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ، وإن كثيراً
من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله
حكماً لقوم يوقنون ؟ »

وقد عمد لليهود إلى محاولة إثارة الأحقاد بين الأوس والخزرج ،
وتذكيرهم بما كان بينهم ، وخاصة بما أصاب الخزرج من هزيمة يوم

بعث ، حتى أنهم نجحوا في بعض محاولاتهم ، وبدأ النزاع فعلا بين
فتين من الأوس والخزرج . وقد تدارك محمد (ص) الأمر ، فدكرهم
بإسلامهم ، للذي ألف بين قلوبهم ، فزال ما بينهم ، وعانق بعضهم
بعضاً ، واستغفروا الله مما بدر منهم .

لم يمتنع لليهود ، على الرغم من وحدانية الله ، التي تجمع بين اليهودية
والإسلام ، أن يشهدوا المشركي قريش بأن وثنيهم خير من دين محمد
(ص) ، وأن تعدد الآلهة ، المخالف لعقيدتهم ، أفضل من ديانة للتوحيد ،
التي جاء بها محمد (ص) ، حسداً من عند أنفسهم ، وأنانية يريدون من
ورائها أن يظلوها ، حسب زعمهم ، شعب الله المختار ، وأخذوا يمكرون
برسول الله (ص) ، ولا يجيئ المكر للسيء إلا بأهله . وصار لليهود
يتمون كل من أسلم منهم بمختلف لأتهم ، فيقولون : « ما آمن بمحمد
ولا أتبعه ، إلا أشرارنا ، ولو كانوا من أختيارنا ، ما تركوا دين آبائهم ،
وذهبوا إلى دين غيره » .

أما رهبان نجران - وهي معقل من معاقل النصرانية باليمن - فقد
سمعوا بظهور للنبي محمد (ص) ، وبما يدور بينه وبين اليهود من جدل
ونقاش ديني ، فرغبوا في المساهمة في هذا للنقاش ، عليهم يخرجون ، وقد
فازوا على منافسيهم ، لليهود . وربما كانوا يطمعون في كسب الرسول
(ص) إلى جانبهم ، وأوفدوا منهم ستين رجلاً ، بينهم من الأساقفة من
تعمق في دراسة المسيحية .

والنقى في المدينة ممثلو للديانات السابوية للثلاث . لليهودية ، والمسيحية ،

والإسلام. أما لليهود، فأنكروا نبوة عيسى ومحمد، وحملوا على عقائد النصرانية، وكفروا بعيسى وإنجيله. وأما للنصارى، فقالوا بالوهية عيسى، وللتشايط. ثم سألوا محمداً عن يؤمن بهم من الرسل، فقال: «آمنا بالله، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون». وكان محمد ينكر عليهم ما بشروا به من شبهات حول وحدانية الله، وأنهم إنما يحرفون للكلم عن مواضعه، ذلك لأن ما جاء به موسى وعيسى إنما يتفق، في جوهره، مع ما جاء به محمد (ص). ووحداية الله هي المبدأ الخالد في الرسائل السماوية. وكانت كلمة للفصل منه لهؤلاء تدور حول هذا المبدأ الأزلي، وهي في قوله تعالى: «قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا، فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون».

وعند ما ذكر الرسول (ص) لهؤلاء الأخبار وللرهبان أنه على ملة إبراهيم، ادعى كل من للفريقين أن إبراهيم كان على دينه: فقال لليهود: «كان إبراهيم يهودياً». وقال للنصارى: «كان إبراهيم نصرانياً». فجاء جواب الإسلام، في قوله تعالى: «يا أهل الكتاب لم نحاجون في إبراهيم، وما أنزلت للتورات والإنجيل إلا من بعده، أفلا تعقلون؟ ما أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم، فلم نحاجون فيما ليس لكم به علم، والله يعلم، وأنتم لا تعلمون، وما كان إبراهيم يهودياً، ولا نصرانياً،

ولكن كان حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين . «
أخفق هذا المؤتمر للديني ، في الوصول إلى نتيجة حاسمة ، وعاد
للهمود إلى منازلهم ، وعاد وفد نجران إلى بلده . ولكن للنصارى عادوا
وفي ذهنهم فكرة طيبة عن محمد ودعوته ، بدليل أنهم طلبوا منه (ص)
أن يبعث معهم رجلاً يحكم معهم في أمور اختلفوا فيها ، فأرسل معهم
أبا عبيدة بن الجراح .